(٢٠)
زلزال تسونامي[1]

الخطبة الأولى :

أما بعد ، فيا أيها الإخوة المسلمين :

وجوب التأمُّل في الكوارث الكونية :

منذ عشرة أيام وقع حادثٌ هائلٌ ، ذلك الزلزال الرهيب الذي وقع في شرقي آسيا ، فقتل عشرات الألوف ، وشرَّد الملايين ، وهدم المنازل ، وخرَّب الديار ، وترك بعده آثارًا إلى الآن لا زال الناس يحاولون أن يتخلَّصوا من ويلاتها .

هذا الزلزال الرهيب وما تبعه من مدٍّ بحريٍّ يشبه الطوفان ، ينبغي أن يقف الناس عنده ، ويتأمَّلوا فيه ، ويأخذوا منه العِبَر والدروس .

هذا الزلزال الذي ارتجفت له القلوب ، وارتعشت له الأبدان ، وزاغت منه الأبصار ، يجب أن يعتبر الناس به .

موقف الناس من الزلزال :

قال مَن قال : إنَّ هذا هو غضب الطبيعة . كأنَّ الطبيعة تعقل وتعي ، وترضى وتغضب ، وتحبُّ وتكره ، وتعطي وتمنح ، والطبيعة مخلوقة مُسخَّرة لا عقل لها ، يُسخِّرها ربُّها كما يُسخِّر كلَّ مخلوقاته ، الله هو الفاعل الواحد في هذا الكون ، كلُّ ما يحدث في الكون من حركة أو من سَكْنة ، من خير أو شر ، من عافية أو من بلاء ، من سرَّاء أو من ضرَّاء إنما يقع بإرادة الله عزَّ وجل ، ويقع بقدرته ويقع بعلمه ،

---

(١) وقع زلزال تسونامي في يوم ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤م ، في جنوب شرق آسيا (أندونيسيا وتايلاند وسريلانكا وبنغلاديش والمالديف وماليزيا والهند) ، وتسبب في وقوع موجات مدٍّ أسفرت عن مقتل أكثر من مليون إنسان ، ودمَّر المئات من المدن والقرى .

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩) .

كثرة الزلازل من أشراط الساعة :

لماذا وقعت هذه الحوادث؟ لماذا تقع هذه الزلازل بين الحين والحين؟ ولماذا كَثُرت؟ قد جاء في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم ، ويتقارب الزمان ، وتكثر الزلازل والفتن»[1]. يقبض العلم علم النبوة ، أما العلم الطبيعي ، والعلم الرياضي فهو على أشُدِّه ، بلغ فيه الإنسان ما بلغ ، ولكن العلم الذي يُقبض ويقلُّ هو علم النبوَّة ، علم الهداية الإلهيَّة ، يُقبض العلم ، ويتقارب الزمان فلا يكون في الزمان بركة ، وإنْ وَصَل الإنسان إلى اختصار الزمان ، واختصار المسافات بواسطة العلم العصريِّ ، ولكن الزمان لا بركة فيه ، وتكثُر الزلازل كما نراها الآن بين الحين والحين ، زلزال هنا وزلزال هناك .

كثرة الزلازل تدلُّ على جهل الإنسان وضعفه :

هذه الزلازل التي تكثُر ، دلَّتنا على أمرين مهمَّين :

الأمر الأول : مدى جهل الإنسان بما حوله :

وإن بلغ في العلم ما بلغ ، وانتصر في الثورات العلمية المعروفة ، الثورة التكنولوجية ، والثورة الإلكترونية ، والثورة النووية ، والثورة الفضائية ، والثورة البيولوجية ثورة الجينات ، وثورة الاتصالات ، وثورة المعلومات ، رغم هذا كله يجهل الإنسان الزلازل حتى تحدث . لم يستطع العلم الحديث أن يتنبَّأ بهذه الزلازل . منذ سنوات قال الصينيُّون : إنهم استطاعوا أن يتنبأوا بوقوع الزلازل . ودعَوا إلى مؤتمر جمعوا فيه الخبراء والعلماء من أنحاء العالم ؛ ليتدارسوا ذلك ، وأثناء اجتماعهم وقع زلزال لم يكن لهم به علم ، ولم يخطر لهم على بال ، هذا هو شأن الإنسان . ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء ٨٥)، والعجيب أن الله

---

(١) رواه البخاري في الاستسقاء (١٠٣٦) ، وأحمد (١٠٧٢٤) .

أعطى الحيوانات حاسَّة لا يملكها البشر ، تستطيع بها أن تُدرك الزلزال قبل أن يقع بقليل ، فتفر من أماكنها ، وترتحل عن مواضعها أفواجًا وجماعات ؛ الغزلان ، والأبقار في المراعي ، هذه المخلوقات تترك المكان قبل الزلزال . أوتيت الحيوانات هذه الحاسة ولم يؤتها الإنسان . وهذا يدلُّ على مدى جهل الإنسان المغرور .

الأمر الثاني : ضعف الإنسان :

ودلت الزلازل كذلك على ضعف الإنسان أمام قوَّة الله ، ضعف المخلوق أمام قدرة الخالق ، ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٨) ، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (العنكبوت ٢٢) ، الإنسان الذي فجَّر الذرة ، وغزا الكواكب ، ووصل إلى الاستنساخ والجينوم البشري ، الإنسان الذي صنع الكمبيوتر والإنسان الآلي ، الإنسان الذي استطاع أن يحلِّق في الهواء كالطير ، وأن يسبح في الماء كالسمك ، هذا الإنسان لا زال ضعيفًا أمام هذه القوارع الإلهيَّة التي تفاجئه ، من حيث لا يحتسب ، وتفاجئه من حيث لا يشعر ، لم يستطع أن يفعل معها شيئًا ، هذه الكوارث الإلهية لا يستطيع الإنسان المغرور بقوَّته أن يفعل أمامها شيئًا ، أمريكا على جبروتها واستكبارها في الأرض ، وتألُّهها في الناس تَجْتاحها الأعاصير ما بين الحين والحين ولا تستطيع أن تردَّها ولا أن تدفعها ، كلُّ ما تستطيعه أن تعالج بعض آثارها . واليابان على رغم قوَّتها التكنولوجية والاقتصادية لا تستطيع أن تفعل أمام الزلازل شيئًا ، هذا الشيء الهائل الذي يفاجئ الإنسان ، هذه الأرض الذلول التي نمشي في مناكبها ، ونأكل من رزق الله فيها ، سرعان ما تتحوَّل إلى وحش كاسر ، إلى تنين مخيف يفغر فاه ، يبتلع ما فوقه ، ويُدمِّر ما حَوْله ، ولا يملك الناس أمامه شيئًا .

معرفة الإنسان قدر نفسه :

أيها الإنسان المغرور بقوَّته ، أيها الإنسان المدلُّ بعلمه ، اعرف ضعفك وعجزك أمام قدرة الله عزَّ وجلَّ ، أيها المتكبِّرون تواضعوا ، أيها المغرورون اعرفوا قدر أنفسكم .

الدروس والعبر المستفادة من الزلزال :

ماذا نأخذ ـ أيها الإخوة ـ من هذه الزلازل من عِبَر ودروس؟

الدرس الأول : عقاب الله لمَن يتعدَّى حدوده :

إن هذا الزلزال عقوبة قدريَّة ، عقوبة سماويَّة من الله تبارك وتعالى للناس إذا أفسدوا في الأرض ، إذا تحلَّلوا من الفضائل ، إذا تعدَّوا حدود الله ، إذا أكلوا حقوق الناس ، إذا غرَّتهم أنفسهم ، وإذا غرَّتهم دنياهم ، وغرَّهم بالله الغَرور ، لا بدَّ أن يعاقبهم الله .

الرد على من يقول : ما علاقة الكوارث بالطاعات والمعاصي؟

هناك مَن يقول : ما علاقة هذه الزلازل والبراكين والأعاصير بالطاعات والمعاصي ، والصلاح والفساد ، والخير والشر؟

نحن نقول لهؤلاء : نحن المؤمنين بإلهٍ يسيطر على هذا الكون ، ويُدبِّر كلَّ ما فيه ، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، هذا الإله العظيم يسخِّر هذه الحوادث ، ليعلِّم الجاهلين ، ويُنبِّه الغافلين ، هناك ارتباط بين الذنوب والمعاصي من جهة ، وبين عقاب الله من جهة أخرى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى ٣٠) ، يعني : لا يآخذنا الله بكلِّ الذنوب ، بل يعفو عن كثير : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (النساء ٧٩).

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران:١٨٢).

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٠).

المخلوقات جند من جند الله يعذِّب بها الطغاة والمتجبِّرين :

إنَّ الله يسخِّر هذه المخلوقات ليعذِّب الطغاة والمتجبِّرين ، سخَّر الله الماء لإغراق قوم نوح بالطوفان ، وإغراق فرعون وقومه في البحر ، وسخَّر الله الريح

ليهلك بها عادًا ، سخَّرها عليهم سَبْع ليال وثمانية أيام حسومًا ، وسخَّر الصواعق ليهلك بها ثمود ، الله يُسخِّر هذه المخلوقاتِ لُيأدِّب بها بعض عباده . نحن نعلم أن هذه الكوارث من جنود الله ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر ٣١) ، يجنِّد الله هذه الجنود لينبِّه ويؤدِّب ويعاقب مَنْ تجبَّر من عباده وأفسد ، ومن طغى في البلاد ، وأكثر فيها الفساد : ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر ١٢-١٤) ، فالله سبحانه وتعالى يراقب ولا يخفى عليه شيء . وهذا ما يصنعه القدر ، فالقدر يعاقب هؤلاء المفسدين .

سبب وقوع الزلزال في هذه المنطقة وهذا الوقت :

انظروا ـ أيها الإخوة ـ لابدَّ أن يسأل الناس أنفسهم : لماذا وقع الزلزال في هذه المنطقة دون غيرها؟ ولماذا وقع في هذا الوقت دون غيره؟ لماذا هذه المناطق؟ من يتأمَّل فيها يجدها مناطق سياحية ، وما أدراك ما المناطق السياحية؟! هي المناطق التي يكثر فيها فعل المنكرات ، وتناول المسكرات ، وتعاطي المخدرات ، واقتراف الموبقات . كل مَن يعرف السياحة في عصرنا يعرف هذا ، ولكن هذه المناطق اشتهرت بنوع من السياحة في عصرنا سمَّوه السياحة الجنسية ، وهي تجارة ممنوعة محظورة دوليًّا ، ولكنها ثالث تجارة محظورة في العالم بعد تجارة المخدرات ، وتجارة الأسلحة ، تأتي السياحة الجنسية ، الذين يتاجرون في الدعارة ، ويتاجرون في الشذوذ الجنسي ، حتى إنهم يتاجرون في الأطفال ، يأتون بالأطفال الفقراء ليستخدموهم في الشذوذ الجنسي ، ومؤخرا نشرت الصحف ومواقع الإنترنت صور أربعين طفلا صغيرا يستخدمونهم في الشذوذ الجنسي ، أفلا يستحق هؤلاء عقاب الله ؟

إنَّ الله حليم صبور ، إنَّ الله سبحانه وتعالى يُملي للظالم ، ويُملي للمُفْسد حتى إذا أخذه لا يُفلته ، ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (الأعراف:١٨٣)، يُمهل ولا يُهمل ، يملي لهؤلاء حتى إذا أخذهم لم يُفْلتهم ، أخْذَهم أخذ عزيز مقتدر ،

هكذا قال النبي ﷺ ، ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:١٠٢) [١].

هناك إذن عَلاقة بين الذنوب والمعاصي وبين العقوبات ، وقد ذكرنا في عقوبة الإيدز قول النبي ﷺ : «لن تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها ، إلا سلَّط الله عليهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم» [٢].

أول درس نستفيده أنَّ هذه عقوبة إلهيَّة للمفسدين في الأرض .

الدرس الثاني : ابتلاء المؤمنين :

وثاني درس ، أن هذا ابتلاء للمؤمنين ، فحينما يأتي البلاء يأخذ المؤمن والكافر ، والبرُّ والفاجر ، والصالح والطالح ، الرحمة تخصُّ والبلاء يعمُّ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال ٢٥) ، ولكن المُصاب من هؤلاء مُثاب ، والميت منهم شهيد ، من أُصيب في حادثة في غَرَق أو حرق أو هدم أو زلزال ، جاء في الأحاديث أنَّ هؤلاء من شهداء الآخرة لهم أجر الشهداء [٣]، هؤلاء لن يضيع أجرهم عند الله عزَّ وجلَّ . فالمؤمنون يمكن أن يُصابوا ابتلاءً من الله عزَّ وجلَّ ، ولكن أجرهم غير ضائع عند الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٤٠).

الدرس الثالث : تنبيه الغافلين :

وهناك درس ثالث ، هو تنبيه الغافلين ، إنَّ شرَّ ما يُصاب به الناس الغفلة عن الله . . . الغفلة عن المصير . . . عن الآخرة . . الغفلة عن حقائق الدين ، أن يعيش

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، وابن ماجه في الفتن (٤٠١٨)، وأبو يعلى (٧٢٨٧)، عن أبي موسى .

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩) ، والبزار (٦١٧٥) ، والطبراني في الأوسط (٤٦٧١) ، عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد (٢٨٢٩) ، ومسلم في الإمارة (١٩١٤) ، عن أبي هريرة بلفظ : أن رسول الله ﷺ قال : «الشهداء خمسة : المطعون : والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله» .

الإنسان في يومه وينسى غده ، أن يعيش في دنياه وينسى آخرته ، هذا شرُّ ما يصاب به الناس ، قال الله تعالى عن قوم هم حَطَبُ جهنم : ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩)، ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف ٢٨)، الغفلة علَّةٌ خطيرة تحتاج إلى قوارع تُنبِّه الإنسان من غفلته ، مثل هذه القوارع ، ومثل هذه الزلازل ، ومثل هذه الأعاصير ، ومثل هذه الفيضانات . تقول : يا أيها الغافل انتبه ، يا أيها السكران اصْحَ ، يا أيها النائم استيقظ ، أيها المتكبر تواضع ، يا أيها العاصي تُب إلى ربك . إنَّ الله يرسل هذه القوارع لتُعلِّم الجاهل ، وتنبِّه الغافل ، وتذكِّر الناسي ، ويتوب العاصي .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم ٤١)

لماذا يصيب الله الناس بالأمراض ، والبلاء ، والغلاء ، والحروب والمصائب التي تنزل بهم؟ ليذيقهم بعض الذي عملوا ، لا يُؤاخذهم بكلِّ ما عملوا : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ (فاطر ٤٥)، فهو يعفو عن كثير ، يؤاخذهم ببعض ما عملوا لعلَّهم يرجعون ، يعني : لا يريد الله أن ينتقم منهم ، يريد أن يُنبِّههم من غفلتهم ، يقول لهم : يا أيها الناس توبوا ، ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر ٥٣) ، أما تكفيكم هذه القوارع لتكفُّوا عن غروركم ، لتتوبوا من معاصيكم ، لتهتدوا من ضلالكم .

ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .

أصناف الناس أمام المصائب :

والناس أمام المصائب والشدائد ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : مَن يعرف الله في الرَّخاء والشدَّة :

هناك صنف يعرف الله في الرَّخاء والشدَّة ، في العافية والبلاء ، في السرَّاء والضرَّاء ، قبل أن تقع البلية يعرف الله ، فهذا كما جاء في حديث ابن عباس ، عن

النبي ﷺ قال : «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة»[1]، اعرف ربك في الرخاء يعرفك في الشدَّة . وهذا أفضل الأصناف ، الذي يعرف الله في الرخاء قبل الشدَّة .

الصنف الثاني : مَنْ ينسى الله في الرَّخاء ويعرفهُ عند الشدَّة :

والصنف الثاني ينسى الله في الرخاء ويعرف الله عند الشدَّة ، إذا نزلت به نازلة اتَّجه إلى الله بإخلاص ، وقال : يا رب ، يا رب ، فرِّج عني ما أنا فيه ، اجعل لي من عُسْري يُسْرا ، ومن ضيقي فَرَجًا ، ومن همِّي مَخْرجًا . يلجأ إلى الله ، حتى المشركون ذكر القرآن عنهم أنهم إذا نزلت بهم الشدَّة يرجعوا إلى الله ، لم يرجعوا إلى هُبل ، ولا إلى اللات ، ولا العُزَّى ، ولكن قالوا : يارب . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (يونس ٢٢) . يدعو الله مخلصًا له الدين ، لأنَّه رجع إلى الفطرة ، ترك الأصنام التي كان يدعوها ، ولم يقل إلا يا رب ، لقد رجع إلى الفطرة ، والفطرة هي التوحيد ، دعا الله مخلصًا : ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (يونس ٢٢) ، ولأنَّه دعا الله مُخْلِصًا له الدين ، يُجيبه الله عزَّ وجلَّ ، ويستجيب له ، ويفرِّج عنه الكَرْبَ ، ويُخْرِجُه من الشدَّة . وهذا هو الصنف الثاني .

الصنف الثالث : مَن لا يعرف الله في رخاء ولا شدة :

والصنف الثالث وهو شرُّ الأصناف ، الذي لا يعرف الله في رخاء ولا شدَّة ، تحلُّ به المصائب ، وتنزل بساحته الشدائد ، وتعتريه الكروب من يمين وشمال ، ويُزَلْزل هو والناس من حَوْله زلزالاً شديدًا ، ولكن قلبه كالحجارة أو أشد قسوة ،

---

(١) رواه أحمد (٢٨٠٣) ، وقال مخرجوه : حديث صحيح ، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧) .

لم يلِن قلبه، ولم يتَّعظ عقله، ولم يغيِّر من حالته، هؤلاء الذين قال الله في شأنهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام ٤٢)، يبسطوا أيديهم يقولون: يارب. ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ﴾ (الأنعام ٤٣)، لولا إذ جاءهم بأسنا، حين نزلت بهم نِقَمُ الله ذكروا الله، فاستغفروا لذنوبهم وتضرعوا، ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام ٤٣)، هذا هو المؤسف. ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (المؤمنون ٧٥)، هم الذين لا تنفع معهم موعظة، ولايستفيدون من دروس الحياة، ولا من عِبَر الزمان، وهؤلاء هم شرُّ الناس. وأحذِّركم ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن تكونوا من هذا الصنف.

علينا أن نعتبر بما يقع لنا من دروس يهديها الله إلينا من عنده، حتى يتعلَّم الجاهلون، ويتنبَّه منها الغافلون. هذا هو الدرس الثالث.

الدرس الرابع: التذكير بزلزلة الساعة:

وهناك درس رابع أنها تذكِّرنا بزلزلة أخرى هي زلزلة الساعة، التي ترتجف من هَوْلها القلوب: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ (النازعات:٦-٩)، ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ (الواقعة:٤-٦)، ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ (الحاقة ١٤،١٥)، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (طه:١٠٥-١٠٧).

الزلزلة التي ينتظرها الناس قُرب الساعة، وبعضهم يقول بعد قيام الساعة، ولكن الأظهر أنها قبل قيام الساعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ

﴿ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج:١،٢)، المرضعة تذهل عن طفلها الرضيع ، الأم المشفقة على طفلها تنساه وثديها في فمه ، ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ (الحج:٢)، بهذا الهول ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ (الحج:٢) ، لم يشربوا خمرًا ، ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج:٢) ، هذه الزلزلة العظيمة ينبغي أن نتذكَّرها حينما تحدث هذه الزلازل ، حتى لا نعيش في حاضرنا وننسى مستقبلنا ، ننسى مصيرنا ونعيش في شهواتنا ، ونغرق فيها .

هذا المصير أيها المغرورون بأموالهم وأعمالهم ، أيها المشغولون بأنفسهم وأولادهم ، أيها المتمتِّعون بشهواتهم ومُتَعهم ، أيها الناسون لآخرتهم ، عليكم أن تتذكَّروا هذه الزلزلة العظيمة ، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج:١)، إذا تذكَّرنا هذه الزلزلة ينبغي علينا أن نُراجع أنفسَنا ، أن نحاسب هذه الأنفس ، ونقول كما قال أبونا آدم وأمنا حواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف ٢٣)، وهذا درس مهم .

الدرس الخامس : التوبة والاستغفار والشكر لله عزَّ وجلَّ :

هناك درس آخر من هذه الحوادث ، لمَن نجَوا من هذه الحوادث ، سواء كانوا من هذه المناطق أو من البعيدين عنهم ، نحن من الناجين ، كان يمكن أن تقع هذه الحوادث عندنا ، يمكن أن تقع غدًا أو بعد غد ، ليس هناك أحد نقول : إنَّه سالم لا محالة من هذه الحوادث . يجب على الناجين أن يعتبروا ، ويشكروا الله تعالى على النجاة : الحمد لله الذي نجَّانا . بعض الإخوة كان في تلك البلاد ونجَّاه الله ، قال : قد رأيتُ ما لا يمكن أن يوصف . . . ما لا أستطيع أن أصفه . كيف تستطيع أن تصف الزلزال؟ من نَجَا فعليه أن يشكر الله عزَّ وجل ، وعليه أن يستغفر الله عزَّ وجل من كلِّ ذنب أتاه ، وكلُّنا خطَّاء ، وخير الخطَّائين التوَّابون المستغفرون ، علينا أن نتوب إلى الله توبةً نصوحًا ، أن نصطلح مع الله .

ما أجدرنا نحن المسلمين ، وما أجدر البشريَّة كلَّها ، أن تستفيد من هذه الدروس ، ما أجدر المستكبرين في الأرض ، المتألِّهين على خلق الله ، أن يعتبروا

بهذه القوارع ، ويطامنوا من كبريائهم ، ويعرفوا أن هناك مَن هو أكبر منهم ، ومَن هو أقدر عليهم ، وأن يتوبوا إلى الله .

مساعدة المنكوبين :

وعلينا ـ أيها الإخوة ـ أن يتمثَّل هذا الشكر في معونة إخواننا الذين أصيبوا بهذه البلايا ، لا بدَّ أن نمدَّ يد المعونة إلى المتضررين من هذه البلايا ، في أندونسيا ، وفي ماليزيا ، وفي تايلاند ، وفي الهند وغيرها ، أن نمدَّ أيدينا إليهم شكراً لنعمة الله علينا ، وتقديراً لهذه المنَّة العظيمة ، وإشفاقًا على مَنْ أُصيب من إخواننا ، وكلُّ الناس إخواننا ، لا أقول : نعطي المسلمين ونمنع غير المسلمين ، نعطي المسلمين ، وكلَّ الناس جميعا ؛ لأن الإسلام ينظر إلى الناس باعتبارهم أسرة واحدة ، تشترك في العبودية لله ، وفي البنوة لآدم : « إنَّ ربكم واحد ، وإنَّ أباكم واحد »[1].

ولا ينهانا الله أن نبرَّ مَن لم يقاتلونا في الدين ، ولم يخرجونا من ديارنا ، لم ينهنا الله أن نبرَّهم ونُحسن إليهم ، ولذلك علينا أن نبذل لنعين هؤلاء الإخوة في الدين ، أو في الإنسانية .

تستطيعون ـ أيها الإخوة ـ أن تبذلوا من زكاة أموالكم ، ومن الصدقات التطوعيَّة ، ومن وصايا أموالكم ، ومن ريع الأوقاف والصَّدقات الجارية ، ومن أيِّ مال فيه شُبهة تريد أن تتطهَّر منه ، كلُّ هذا يصلح لأن تبذل منه معونة لإخوانك .

وَشَكَرَ الله لقطر ، فقد كانت من أوائل الدول التي قامت بإرسال المساعدات إلى هذه الجهات ، في حين تقاعست كثير من الدول الإسلامية ، و« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا »[2].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩) ، وقال مخرجوه : إسناده صحيح ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٥٨٦/٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) ، كما رواه أحمد (١٩٦٢٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، عن أبي موسى .

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل لنا من هذه الحوادث الشديدة القاسية عِبَرًا ودروسًا نتعلَّم منها ، ونستفيد منها ، فالسعيد مَن وُعظ بحوادث الزمان .

اللهم هيِّأ لنا من أمرنا رَشَدًا ، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يغفر لي ولكم ، واستغفروه يغفر لكم ، وادعوه يَسْتجب لكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله غافرِ الذنب ، وقابلِ التوب ، شديدِ العقاب ، ذي الطَّوْل ، لا إله إلا هو إليه المصير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يُسبِّح له ما في السماوات وما في الأرض ، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير ، وأشهد أنَّ سيدنا ومعلِّمنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله البشير النذير ، والسراج المنير ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومَنْ دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته ، وجاهد بجهاده إلى يوم الدين ، أما بعد :

حربٌ إعلاميَّة شعواء :

فيا أيها الإخوة المسلمون ، في الأشهر الأخيرة شُنَّت على الفقير إليه تعالى حربٌ إعلاميَّة شعواء على مساحة واسعة من العالم في الشرق والغرب ، واستخدمت فيها كلُّ الأسلحة ، هذه الحرب سخَّرتها الصهيونية العالمية وشريكتها الاستراتيجية الولايات المتحدة ، جَنَّدت جنودها ، وسخَّرت الأقلام المأجورة ، والقنوات المنكورة لتهاجمني ، وأطلقت الكلاب المسعورة هنا وهناك لتعقرني بأنيابها ، وتنبحني بأصواتها ، وأستطيع أن أقول : إنَّ أمريكا أثبتت قدرتها على تحريك الإعلام ، الإعلام المقروء ، والإعلام المسموع ، والإعلام المشاهد ، وتجنيد مَن ترى تجنيده ليندِّد بمَن يندِّد ، ويجرِّح مَن يجرح ، ويطعن مَن يطعن .

تجنيد الإعلام العربي في هذه الحملة :

ولم أعجب لتجنيد الإعلام الغربي في أمريكا وأوروبا ضدِّي ، ولكن الذي عجبتُ له ، وأسفتُ له جدًّا : هو تجنيد الإعلام العربي ، الإعلام العربي ، أصبح لا يجد فرصة إلا ويهاجمني ، فتحت الصحف أبوابها والإذاعات والتلفازات لكلِّ

مأجور يريد أن يهاجمني ، أو كلٌ جاهل لا يعرفني ، فتحت لهم أبوابهم ليتَّهموني بكلِّ جريمة ، أصبحتُ أنا المحرِّض الأول على الإرهاب ، أصبحتُ أنا الذي يدعو إلى خطف الرهائن وقتلهم ، أصبحت أنا داعية العنف . تُهَم عجيبة .

القرضاوي داعية الوسطية والاعتدال :

وإنَّ من نكد الدنيا ، ومن عجائب الأيام أن يقف الإنسان مدافعًا عن نفسه ضد هذه التهم الباطلة ، يوسف القرضاوي الذي عاش عمره داعيًا إلى الوسطية والاعتدال لا التطرف ، إلى التسامح لا التعصُّب ، إلى الحبِّ لا الكراهية ، يُتَّهم بأنَّه يحرِّض على الإرهاب ، ويدعو إلى خطف الرهائن .

تحريم خطف الرهائن وقتلهم :

لقد أصدرتُ فتوى من سنوات طويلة ، أنكرتُ فيها خطف الرهائن ، حينما خطفت جماعة أبو سياف في الفلبين بعض الرهائن الغربيين ، وطلبوا فدية أو يقتلوهم ، أنكرتُ ذلك وقلتُ : هذا حرام ، لإنك تعاقب أناسًا بذنب آخرين . فلا يجوز أن تخطف الرهائن وتهدِّد بهم آخرين . كذلك أصدرت فتوى في تحريم خطف الطائرات . ما ذنب ركاب الطائرات تخطفهم لتطالب حكومة معيَّنة بكذا وكذا من المطالب ، أنا الذي أصدرتُ هذه الفتاوى أصبحتُ مُتَّهمًا بالتحريض على الإرهاب .

من سنوات طويلة ، من بضعة عشرة سنة حرَّمتُ خطف الرهائن ، ومنذ مدَّة أصدرنا بيانًا باسم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يحرِّم خطف الرهائن بغير جريمة وبغير سبب ، وحين تخطف لا يجوز أن تقتل ، لأنهم أصبحوا أسرى ، والأسرى ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ (محمد:٤)، هذا ما أصدره الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .

سفراء العالم يستعينون بي لإطلاق سراح الرَّهائن :

ولا عجب أن زارني وزير فرنسا في القاهرة يطلب مني التدخُّل لإنقاذ الرهينتين ، وقد أرسل إليَّ خطابًا من فرنسا يشكرني ، وجاءني وزير خارجية

إيطالي وزارني هنا في قطر في بيتي يطلب مني أن أتدخَّل لإنقاذ الرهينتين الإيطاليتين ، وزارني سفراء أندونسيا وسريلانكا واليابان يطلبون مني ذلك . . . فمن قال : إنني أدعو إلى الإرهاب؟ هذا عجيب! عجيب أن يُتَّهم الإنسان بالباطل وهو حيٌّ يُرزق ، والناس يعرفون ويشاهدون ، ولكن هناك أناس يكذبون ويكذبون ويكذبون حتى يصدِّقوا أنفسهم ، ويحاولون أن يُصدِّقهم الناس ، ولكن الباطل لا يروج أبدًا .

الإسلام دين تسامح وسلام :

إنني أيها الإخوة الأحبة ، من منطلق إيماني بالإسلام ، الذي أراه دين سلام ، لا دين حرب ، ودين تسامح لا دين تعصُّب ، وأنَّه يفتح صدره للنَّاس جميعًا ، ويمدُّ يده للناس جميعًا ، ويسالم مَنْ سالمه ، ولا يُعادي إلاَّ من عاداه : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء ٩٠) ، ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الأنفال ٦١)، هذه مقولتي ، لا أفتري على الإسلام ، ولا أدَّعي إسلامًا من عندي ، ولكن أن يفتري الناس عليَّ كأنني أعيش في صَوْمَعَةٍ منعزلة ، أو في سرداب من الأرض ، لا والله ، أنا لا أؤمن بالعمل السري ولا بالتنظيمات السريَّة ، أنا أعمل على المكشوف ، في العراء ، كُتبي يقرؤها الناس في أنحاء العالم ، وخطبي يسمعها الناس في الفضائيات ، ومحاضراتي منشورة على الملأ ، وموقعي على الإنترنت يستطيع الناس أن يعرفوا منه مواقفي ، ليس عندي شيء أُخْفيه عن خلق الله ، ولكن هؤلاء المُبْطلون يريدون أن يحاكموني دوليًّا ، فليفعلوا ، فأنا والله لا أخاف من المحاكمات ، ولا أخاف إلا الله عزَّ وجل ، إنَّ رزقي مقسوم ، وإنَّ أجلي محتوم ، لا يستطيع أحد أن يأكل من رزقي لقمة ، ولا أن يُؤخِّر أجلي لحظة : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف ٣٤).

اتهامي بالسلفية التكفيرية :

وهناك مَن قال : إنَّني من السلفيَّة التكفيريَّة ، وأنا والله من ضحايا السلفية التكفيرية ، السلفية التكفيرية تُكفِّرني وتُضلِّلني وتُأثِّمني ، وقد أصدروا أكثر من

كتاب في مهاجمتي ، وأنا أول مَن هاجم فكرة التكفير بقوَّة ، حين أصدرتُ في السبعينيات كتابي (ظاهرة الغلو في التكفير) ، حينما ظهرت هذه الفكرة في مصر ، وروَّج لها مَن روَّج ، كتبتُ رسالتي هذه .

أنا ضدَّ التكفير ؛ لأن التكفير خطر يستبيح دماء الناس وأموالهم ، كيف أُتهم بالتكفير .

اتهامي بأني من علماء السلطة :

وأعجب ما سمعتُ أنَّه يقال : القرضاوي من علماء السلاطين ، لذلك وَسِعتَه بلاد الخليج ، واستطاع أن يعيش فيها ، كأنَّ بلاد الخليج لا تَسَع إلا المنافقين ، الذين يسيرون في الرِّكَاب ويتمسَّحون بالأعتاب ، والذين يعرفوني ويعاشرونني يعلمون أني لا أصلح أن أكون من علماء السلطة ، ولا من عملاء الشرطة ، أنا رجل صريح مستقيم لا أبيع ديني بدنياي ، ولا أستطيع أن أمدح إنسانًا بباطل ، أو أنافق إنسانًا في حقٍّ .

لقد عشتُ في بلاد الخليج ، وعشتُ في قطر واحدًا من أهلها ، وعضوًا في جسدها ، أحبُّهم ويحبُّونني ، أنا منهم وهم منِّي ، لم ينظروا إليَّ أني غريب فيهم أو مهاجر إليهم ، أنا لا أؤمن بالإقليميَّات ، أنا أؤمن بدار الإسلام الواحدة ، أنا انتقلت من جزء من دار الإسلام إلى جزء من دار الإسلام ، ومن إخوة وأهل لي في مصر إلى أهل لي وإخوة في قطر ، لا أشعر بأنِّي غريب ، أو أنِّي أجنبيٌّ ، لم تُرَاودني هذه الفكرة قط .

لقد عشتُ في قطر بحمد الله مُنْتصبَ القامة ، مرفوعَ الهامة ، محفوظَ الكرامة ، لا يستطيع أحد أن يتَّهمني بأني نافقتُ يومًا في حياتي .

لو كنتُ أحبُّ أن أنافق ، أو أحبُّ أن أسير في رِكاب السلطان لبقيتُ في موطني الأصلي ، وبقليل من التنازلات كنتُ وصلت إلى أعلى المناصب التي وصل إليها مَنْ هو دوني بكثير .

الثبات على المبدأ والموقف :

ولكنِّي آثرتُ أن أحتفظ بديني ، وأحتفظ بمبدئي ، وأثبت على موقفي ، وأقول للطغاة ، وأقول لكلِّ جبار متحديًا :

ضَعْ في يديَّ القيد أهب أضْلعي ... بالسَّوط ضَعْ عُنقي على السكين
لن تستطيعَ حِصارَ فكري ساعة ... أو نَزْعَ إيماني ونُور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي ربي ... وربي ناصري ومعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي ... وأموت مبتسمًا ليحيا ديني[1]

هكذا قلتُ للطغاة ، ولا زلتُ على موقفي ، أنا لا أُداهن في ديني ، ولا أبيع ديني بدنياي ، فضلاً أن أبيعه بدنيا غيري ، الحمد لله عشتُ في قطر لم يحظر عليَّ أحدٌ في قول أُعلنه ، أو في موقف أتَّخذه ، رغم ما يتعرَّضون إليه من ضغوط ، أعرفها ، ولكن لم يقُل لي أحدٌ كلمة تمسُّ من حريَّتي .

أنا أعرض دعوتي على الناس كما أراها ، أُعلِّم الإسلام للناس كما أعلمه ، أقول الحقَّ لا أخشى في الله لَوْمة لائم ، حينما أسَّست مع إخواني الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، جعلنا شعاره هذه الآية الكريمة : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾(الأحزاب ٣٩)، أنا لا أبالي بهؤلاء الذين يُوسعونني سبًّا وقذفًا ، لا أبالي بهم ؛ لأن معظمهم لم يركع لله ركعة ، لم يعرفه الناس في مسجد ، وقد قال السلف رضي الله عنهم : حسبك نَصْرًا أنَّ خصمك يحارب الله ورسوله . إذا كان خصومك ممَّن يحاربون الله ورسوله فحسبك ، فهذا هو النصر الحقيقي ، كلُّ هؤلاء الذين يهاجمونني ليس لهم في الإسلام نصيب ، هم من الناحية الدينيَّة منافقون ، ومن الناحية الوطنية عملاء ، فلا أبالي بهم أبدًا ، والله لا أبالي بهؤلاء . كلُّ ما أفعله أنني أعمل لإرضاء ربِّي عزَّ وجلَّ :

فليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

---

(١) من القصيدة النونية للشيخ القرضاوي ، ديوان (نفحات ولفحات) .

وليتـــك تحلـــو والحيـــاةُ مريـــرة وليتك ترضى والأنـــام غضـــاب
إذا صَحَّ منك الودُّ فالكـــلُّ هـــيِّن وكلُّ الذي فَوْقَ التراب تـــراب[1]

هؤلاء الملاحدة واللادينيون وعملاء الاستعمار الأمريكي وغيره وعملاء الصهيونية ودعاة التطبيع مع إسرائيل ، هؤلاء لا أبالي بهم ، بل أنا سعيد بأنَّ هؤلاء هم خصومي ، وإني أتمثَّل بقول الشاعر العربي :

لقد زادني حبًّا لنفسي أنني بغـــيضٌ إلى كـــل امـــرئ غـــير طائـــل
وإني شـــقيٌّ باللئـــام ولا تـــرى شقيًّا بـــهم إلا كريم الشـــمائل[2]

اللهم نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا ، وأهلينا وأموالنا ، اللهم استر عوراتنا ، وآمنْ روْعاتنا ، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيْماننا وعن شمائلنا ، ومن تحتنا ، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتال من تحتنا .

اللهم أكرمنا ولا تُهنَّا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا لا تنقصنا ، وآثرنا لا تُؤْثر علينا ، وارْضَ عنا وأرضنا .

اللهم طهِّر أقوالنا من اللغو ، وأعمالنا من العبث ، وأنفسنا من الضعف ، وقلوبنا من الغشِّ ، وأعيننا من الخيانة ، وألسنتنا من الكذب ، وعباداتنا من الرياء ، وحياتنا من التناقض .

اللهم انصر إخواننا في فلسطين ، وإخواننا في العراق ، وانصر إخوتنا المجاهدين في كلِّ مكان ، اللهم سدِّد رميتهم ، وقوِّ شَوْكتهم ، واجمع علىٰ الحقِّ كلمتهم .

اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا ، واهدهم صراطًا مستقيمًا ، وانصرهم نصرًا عزيزًا ، وأتمَّ عليهم نعمتك ، وأنزل في قلوبهم سكينتك ، وانشر عليهم رحمتك .

اللهم عليك بالطغاة والمستكبرين ، اللهمَّ عليك بالمعتدين على المسلمين ، اللهم عليك بالصهاينة الظالمين ، اللهم عليك بالأمريكان المستكبرين ، اللهم عليك

---

(١) من شعر : أبي فراس الحمداني .
(٢) من شعر : الطرماح بن حكيم .

بكلِّ ظالم للمسلمين ، اللهمَّ خُذْهُم ومَنْ عاونهم أخْذَ عزيز مقتدر ، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين .

اللهمَّ منزل الكتاب ، ومُجْري السَّحاب ، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وثبِّت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم ارفع غضبك ومقْتك عنا ، ولا تُهلكنا بما فعل السُّفهاء منا ، ولا تُسَلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا ، سَخَاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم . اللهم آمين .

عباد الله يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب ٥٦)، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .